قصائد

## ما قطعنا كلّ هذا الليل كي نعود بذات الثياب

# كأنّني أُبادُ على مهلٍ

علي صلاح بلداوي

### حفنةُ زَهرٍ بيدِ الموت

أعمارُنا يعدو بها حِصانٌ لاهثٌ بينَ ماءٍ
ونار،
وسرجُهُ المائِلُ، ما تتعلّقُ به من نجاة.

أسماؤنا صيحات من وقعوا ومن لم
يعثُر عليهم أحد،
وأيامُنا، هذا الرملُ النازلُ من أعلى
الزّجاجة إلى قعرها.

هكذا فجأةً نتناقَصُ
كأنّنا حفنةُ زَهرٍ بيدِ الموت
وكُلّما غَفلنا
تبسّم في الخفاء،
ونفخَ علينا سُمومه

### أُبادُ على مهلٍ

من أيّ سديمٍ يتصارَعُ مع سديمٍ
تأتي هذه الأصواتُ وهذا الغَصَّة
وهذا الفتور الذي يدوّبُ الجَسدَ مثلَ
رغوةٍ في ماء.

كأنّني أُبادُ على مهلٍ ولا أدري
وكلُّ شيءٍ جَرى من تحت قدميّ ولم أنتبه،
هكذا ينبّهني جرحٌ بقرطُ ملابسي البائدة
أو تهوي لوحتي وتَضيع حروفها في
محاجر الأرض،
هكذا أنتبهُ أنّني في هذه اللحظة، على
مقربةٍ من نهايةٍ ما
لكنْ لا أدري أيّ نهايةٍ تكون
وأيّ مخرجٍ طوارئ سينفعُ هذا المنديل
الذي أسميه جسدا
حيثُ لا أحد يحمله معي
ولا ريح تُعينني عليه.

أحتاجُ سريرًا ووسادة
ومتزًا من هذا الفسيح كي أتمدّد
وأتفرّج على انقراضي

### تحت أرجل المغول

يا سيّدي،
أنا الهاطل من عينِ كلّ طفلٍ لا سريرَ له
في البيت
ولا دفترٍ يرسم فيه أحلامَهُ بعد يقظة
الظهيرة،
الطفلُ بائعُ المناديلِ الذي كسّرت جمجمتهُ
مزاميرُ الغربات
الطفلُ المصلوب وسطَ الشارعِ نَهارًا
وبضعةَ قرون
الطفلُ الذي ماواه الحجارةُ، وطريقهُ
محفوف بالكلاب،
فلا أدري كيف يمكن أن تجدني في مكانٍ
آخر غير هذا؟

غدنا مسحوقٌ تحت أرجلِ المَغول
وبجنازير أميركا
غدنا رمادٌ يُذاريْهُ سادةُ الجنّة في مياهِ
دجلة
وليس لنا حتّى جحيمَنا الخاص.

يا سيّدي
أنا محْشورٌ في حنجرةِ كلّ مهضوم
وذلك العويلُ المجرّحُ
يخرجُ منّي.

### فلتنم فيها إذن

هذه ليست بابًا واحدة
خلفها كونٌ من الأبوابِ والمقابضِ الحَجريّة.

هل ترى الضوءَ من تحتها؟
يأتي ولا يأتي.
هل تسمع الصدى عبرها؟
بشرٌ، أطيافٌ، هذيانٌ على مشنقة الوقت.
والمفاتيح؟
تتدلّى من خصر السراب
الذي يلهو في شارعٍ مهجورٍ وقفارٍ
مستحيلة.

هذه ليست بابًا واحدة
إنّها جدرانٌ، لا مقابضَ ولا مفاتيح
فمن ذا الذي يُعيرني مطرقتَكَ يا «ثور»
من الذي ينجدني بالبرقِ كي أهدّمها!

إنّها جدرانُك إذن،
فُلتنم فيها إلى رحمة الله.

### هكذا تُحسب الحياة

ما قطعنا كلّ هذا الليل والصّراخ
وصلوات العائلة
كي نعودَ بذات الثياب،
نظيفةٍ وبيضاءَ
مثلَ مئزرِ الملاكِ الخارجِ من مُستحمّه
وماشيًا في سماواتٍ بعيدة.

النياشين: عروةُ القَميصِ تشهقُ طين
البلاد.
الرُتب: ما حملتهُ الأكتافُ من صَخرٍ ولحمٍ
وتوابيت.
والعطَرُ: هذا رشّةُ البارود لحربٍ ما
انتهت،
هذا لمسةٌ من ثيابِ امرأةٍ فجّرتْ في ثيابي
عيون المسك.
هكذا تُحسب الحياة، أو تُقاس.

أوِ يا حياتي
كم عليّ أن أسأل عن قطعِ ثيابي أين
تناثرتْ
وكم عليّ أن أُفاوض الطّين والشوك
والسُخام
كي يغادروني.

■ ■ ■

### ولو فُنِي صوتي

بأيّ مطرقةٍ سأكسرُ رؤوسَ هذهِ الأصنام؟

لستُ نبيًا يدخلُ كعبته منتصرًا
ولا يحفُّ بي أقرباءٌ ولا جنود
وليس بيدي عصاةٌ كلّما أشرتُ بها على
ضَنمٍ تهشّم،
لستُ سوى بالذي قال «لا»
لهذا السيل الجارف من «النّعم»
فلم يسمعه أحد، وكان صراخه في غراءٍ
أصمّ.
عالقٌ في أمّةٍ خاضعةٍ
وأرضٍ من الدسائسِ والكمائنِ والنّصال.
عالقٌ بين زنازين الكهنة، ودهاليز
المُقدّسين
وحدائق من الصّمغ تُباركها الهةٌ على
حقّ،
وهل أقول، حتّى الهواءُ هنا خاضعٌ ولا
يعترض

وإلّا فمن الذي يَحملُ هذه الكائنات
المتوحشةَ من الخيوط

ويلصقها على فمي،
وهذه الأكياس الهائلة من الخيبة يلطمها
بعيني ويَعميها!

سأظلُّ أصرخُ حتى أفتّتَ هذه الأصنام
ولو فُنِي صوتي
وأظلّ أنبش حتّى أجد المصباح،
في هذه الوحلة المظلمة.

(شاعر من العراق)

صورة لطفل فلسطيني من غزّة على واجهة «متحف الملكة صوفيا» بمدريد، 24 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

## في أنيابها المجزرة

أُحيفك هذه الوحوش!/ نعرفها من أوّل فريسة في هذه الغابة/
نعرف ماضيها وحاضرها/ ركضٌ خلف الفرائس لا غير/ نعرف حقيقتها
كذلك/ لكن فاتنا أن نطلّ بقطين/
وفي غفلة صارت ترتدي ثيابًا
مغزولة بالعدالة، ومطرّزة
بالحرية اللامعة/ وصدّقناها يا
خائفة/ صدقناها يا بيتك العراء/
وعاملتك بلوكها الموت/ لا بأس
يا أمّ/ لا زالت ترتدي هذه الثياب/
لكنّها مبقّعة بدمائنا/ لا زالت
تهدر افواهها بالسماحة/ وفي
أنيابها المجزرة.

قراءة

## خورخي راموس تولوسا إنهاء استعمار القصص

# فلسطين خارج سجن الغرب المعرفي

يضيء الباحث الإسباني، في كتابه، على فلسطين، بوصفها قضية ذات أهمية كبرى في فهم السياسات المعرفية، الشمالية والجنوبية

مدريد ـ **جعفر العلوني**

«ثمّة مظالم في هذا العالم لا تُعدّ ولا تُحصى، ولكن في فلسطين يحدث أعظم ظلم رأيته بعيني. لهذا السبب كرّست نفسي لها، كي أحاول المساعدة في ألّا يستمرّ هذا الظلم، كي أحاول، جيلاً بعد جيل، أن أسهم في ألّا يختبر شخص ما معنى أن يفقد حياته تحت أسلحة أو قصف من سرق أرضه، من احتلّها، ولا يزال يسلبها، كي أحاول أن أسهم في كشف المزيد من المعايير المزدوجة والنفاق في الشمال العالمي»، بهذه المقدّمة، يبدأ الأكاديمي الإسباني خورخي راموس تولوسا كتابه «فلسطين في النظريات الإستملولوجية الجنوبية»، الصادر عن «مركز الدراسات الاجتماعي» في بوينس أيريس عام 2022، والذي يحاول فيه تسليط الضوء على فلسطين بوصفها قضية تاريخية ذات أهمية كبرى في فهم السياسات العالمية الشمالية والجنوبية.

يبدأ تولوسا كتابه انطلاقاً من أنّ فلسطين لا تزال في قلب الأجندة الإعلامية والسياسات الدولية المُخترقة من قبل نظريات المعرفة الشمالية، والتي على حدّ تعبيره «تسيطر عليها مؤسّسات إعلامية اقتصادية قويّة». إذاً، فلسطين هي رهينة هذه المؤسّسات التي تحتكر السردية، وبالتالي فإنّ القضية الفلسطينية تعيش في سجن يمكننا أن نسمّيه سجناً معرفيّاً لا يزال يشكّل حاجزاً أمام فهم قضيتها، خصوصاً في المؤسّسات التابعة للشمال الأطلسي.

ويرى الأكاديمي الإسباني أنّ هذا «السجن المعرفي» يُترجَم، بشكل رئيسي، في حجب المظالم التي يعيشها الفلسطينيون يومياً، وفي إخفاء ما يمارسه نظام الفصل العنصري ضدّهم منذ عام 1948 في هذه المؤسّسات الشمالية، التي تحتكر نظرية المعرفة، ويطغى عليها الاستشراق والعنصرية والعنف المعرفي الذي يستلزم الإسكات المنهجي للأصوات الفلسطينية والمعرفة والنضالات والرؤى العالمية.

هكذا، يهدف كسر هذه الهيمنة المعرفية الشمالية، يقارب تولوسا القضية الفلسطينية انطلاقاً من النظريات المعرفية الجنوبية، التي يُدخل ضمن مبادئها الأساسية معرفة العالم وتفسير قضاياه بشكل يتجاوز المعرفة الأوروبية المركزية وتفسيراتها. وبتطبيق هذا الأمر على القضية الفلسطينية، تحرّر فلسطين من هذا السجن المعرفي الذي وضعها الشمال فيها.

وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب (120 صفحة)، إلّا أنّه يأتي في سياق حرب السرديات، حيث يمكن وصفه بأنّه مشروع لإنهاء استعمار القصص، ولتفكيك المفاهيم وفضح الأساطير. ومن أجل هذا، قسّم صاحب «تاريخ معاصر للصراع الفلسطيني الإسرائيلي» عمله إلى قسمين: «تاريخ الاستعمار الاستيطاني الصهيوني» الذي يفكّك فيه السردية الصهيونية المتعلّقة بـ«أرض الميعاد»، ثم يسرد أحداث النكبة الفلسطينية شارحاً مجريات الأحداث بتفاصيل دقيقة، لأنه وكما يقول «هناك جهل كبير حول القضية الفلسطينية، وهذا تحديداً ما تعمل نظريات المعرفة المركزية والشمالية على نشره. لذلك لا بدّ من سرد القضية مع أدقّ التفاصيل في مواجهة هذا التعتيم والحجب»، ثمّ يتناول نظام الفصل العنصري، وجدار الفصل، وقتل الأطفال، وصولاً إلى نظريات إنكار الوجود الفلسطيني التي يُشتغَل عليها من قبل المؤسّسات الإعلامية التابعة لمراكز «المعرفة الشمالية» على حدّ تعبير الكاتب.

القسم الثاني من الكتاب يُخصّصه تولوسا لتسليط الضوء على تلك المصطلحات والمفاهيم الموجودة في قلب النظريات الإبستمولوجية الجنوبية، والتي تصعب، أو لا تمكن، ترجمتها إلى لغات الشمال ووجهات النظر العالمية، ويأخذ مثالاً على ذلك مصطلح «الصمود»؛ حيث يقول: «لا يمكن إيصال جوهر القضية الفلسطينية إلّا إذا عرفنا كيف نشرح هذه المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بتاريخ فلسطين. فكيف يمكن أن نتكلّم عن فلسطين، إن لم نعرف كيف نوضّح معنى الصمود؟».

> كيف نتكلّم عن فلسطين إن لم نعرف كيف نوضّح معنى الصمود؟

يثير كتاب الباحث الإسباني الانتباه من حيث جرأته على تعرية الصهيونية، وعلى كشف مركزية أوروبا والشمال، بشكل عام، وتبنّيها سردية «إسرائيل» حول فلسطين، وهي جرأة نادرة في الغرب، لا سيما في ظل حرب الإبادة التي تشنّها «إسرائيل» ضد الشعب الفلسطيني، وما يرافقها من اتّهامات بـ«معاداة السامية» لمن لا يوافقها في سرديتها الكاذبة.

من وقفة تضامنية مع غزّة في مدينة سان سيباستيان الإسبانية، 28 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

إطلالة

## هل وصل الوحش إلى لحظة انطفائه الأكيدة؟

# عن عقيدة القتل بلا هوادة والتخريب بلا توقّف

ذهنية احتلالية تعتقد أنّ القتل هبة إلهية، وأنّ التدمير خدمةٌ لمن يحملون في جيناتهم المريضة فانتازيا التفوّق المدفوعة بادّعاءات الحقّ الإلهي

**أمير داود**

هل كان يمكن لأيّ ذهن بشري قبل العدوان المستمرّ أن يتخيّل الصورة التي آل إليها قطاع غزّة جرّاء هذا العدوان؟ كان يمكن مقاربة ذهن الاحتلال وميله الفطري إلى البطش والتخريب والقتل، باعتباره يتكئ، ومنذ لحظة اختلاقه الأولى إلى عقائد مسيانية مشوّهة، تفترض أنّ القتل هبة إلهية، وأنّ التدمير، بتنويعاته المختلفة، خدمةٌ لمن يحملون في جيناتهم المريضة فانتازيا التفوّق المدفوعة بادّعاءات الحقّ الإلهي وامتلاك مفاصل التاريخ البعيد. لعلّ اللافت في ما حدث، وما زال يحدث حتى اللحظة، أنّ سلسلة الخطابات والتصريحات الممنهجة التي قادت إلى لحظة الحرب العليا، كانت كلّها تحاول أن تنزع صفة الآدمية عن الفلسطينيين؛ نزعٌ رافقه استدعاء لمقولات مؤسّسة في الذهن الصهيوني حول الخطر الوجودي وطعنة ذكرى التأسيس والوحوش البشرية باعتبارها آخر ما تفتّق عنه وعي الصدمة في مجتمع الحاخامات الجديد القديم، نظراً إلى أنّ هذه التصريحات الآن، وقد انقضى أكثر من 120 يوماً على خروجها إلى الهواء، بات من اليسير الجزم إلى ماذا مهّدت: القتل بلا هوادة، والتخريب بلا توقّف.

ثمّة ولادات كثيرة عصفت بمجتمع الاحتلال منذ اختلاقه في العام 1948، وما حملته هذه الولادات من صدمة البدايات المؤسّسة لما يلي، وترشحت من جملة ما ترشح أيديولوجيّاً التفوّق على المحيط، فلطالما بنى هذا المجتمع نفسه ووعيه على فكرة غابة العداء، وبحر الوحوش الذين ينتظرون لحظة الانقضاض، لكن صدمة السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر أدّت إلى ولادة جديدة، غريبة وصادمة، أقفلت معها صفحة أفكار كثيرة دار الوعي الصهيوني في فلكها لسبعة عقود كاملة؛ ومنها احتكار المبادرة بالهجوم، والقدرة على الحسم دائماً، والانسجام مع العالم في كلّ الأوقات. وإذا كانت ولادة عام 1948 بالنسبة إلى الذهن اليهودي قد ارتبطت بالجلوس، عقيدة ودولة، فقد كانت ولادة عام 1967 ولادة النصر السريع الساحق، لكن عام 1973 دوّن ارتداداته اللاحقة، من قلب وحل المفاوضات والسياسة، كان محض ولادة صغيرة لاستفاقة من الحلم، ولمّا كان عام 1978 باعتباره عاماً لصعود اليمين الذي مهّدت: القتل بلا هوادة، والتخريب بلا توقّف.

> أنهى السابع من أكتوبر أفكاراً دارت الصهيونية في فلكها لسبعة عقود

طفلة فلسطينية في مبنى برفح دمّره القصف الإسرائيلي، 3 شباط/ فبراير (Getty)

**النص الكامل**
على الموقع الالكتروني

## فعاليات

عند الحادية عشرة والنصف من صباح الحادي عشر من فبراير/شباط الجاري، ينظّم **مكتب مقاطعة إسرائيل** في المرية مظاهرة بالدرّاجات الهوائية، تنديداً بالعدوان الإسرائيلي على غزّة، ودعماً للشعب الفلسطيني في نضاله ضدّ الاحتلال. ترفع المظاهرة شعارات: **اوقفوا حرب الإبادة** و**اوقفوا العلاقات مع القتلة**.

عند الثالثة من ظهر الحادي عشر من فبراير/شباط الجاري، يُنظّم **منتدى المكسيك من اجل التضامن مع فلسطين** في العاصمة المكسيكية مظاهرة بعنوان **لا يمكن ان نبقى صامتين**، تضامناً مع الشعب الفلسطيني ضدّ حرب الإبادة الإسرائيلية. تنطلق المظاهرة من امام السفارة الاميركية، وصولاً الى ساحة زوكالو الرئيسية، رافعة شعار **لا للصمت على الإبادة الجماعية**.

ابتداءً من بعد غدٍ الاربعاء وحتى الثامن عشر من الجاري، يستضيف غاليري «ميشن آرت» في بيروت معرضاً للنحّات السوري **مصطفى علي** (1956 / الصورة). يضمّ المعرض مجموعة منوّعة من المنحوتات التي انجزها علي عام 2000، واستخدم فيها الخشب والبرونز، إضافة الى الحجر والبوليستر والمعادن وغيرها.

ابتداءً من بعد غدٍ وحتى نهاية الشهر الجاري، تُعرض منصّة «افلامنا» فيلم **خلف الدرع** للمخرجة اللبنانية **سيرين فتوح** (1980). تحاول فتوح رسم لوحة سينمائية لمدينة بيروت على مدار ثلاث سنوات سبقت انجاز الشريط عام 2022، موثّقة اللحظات الرئيسية التي طبعت تاريخ لبنان الحديث، دون ان تنسى تفاصيل الحياة اليومية.